Gleams of Islamic Civilization
Vol.1, No.1, September 2024, 289-306
(DOI) 10.22034/SIC.2024.425591.1066

Classification of the Temporary Incomes of the Clergy during the Qajar Era: The Case of the City of Tehran

Hamed Gharaati[1]
David Sadri[2]

(Received: 2023 November 16; Accepted: 2024 April 13)

Abstract

The clergy have always been among the most significant social and cultural segments of Iranian society, playing a crucial role in many social developments and changes. Their income and economic resources have had both direct and indirect impacts on social events and activities. These resources can be divided into two categories: permanent financial resources, expected annually, and temporary financial resources, which, although consistent in terms of endowments and vows, were unpredictable in their long-term value. By deploying a descriptive-analytical approach and drawing on historical sources and literature, this study aims to answer a central question: What were the types of temporary income for the clergy in Tehran during the Qajar era? The findings reveal that while these temporary financial resources posed challenges for the clergy's livelihood, they also offered significant benefits. These resources helped the clergy maintain economic independence from the Qajar state, allowing them to perform their religious and social duties with fewer restrictions and greater freedom.

Keywords: clergy, seminary schools in Tehran, sources of income, Qajar era, classification.

1. Assistant Professor, Department of Islamic History, Bagheral Uloom University, Qom, Iran. (Corresponding Author) Email: gharaati_1359@yahoo.com
2. Master of Islamic History, Bagheral Uloom University, Qom, Iran. Email: dawdsdry179@gmail.com

أضواء الحضارة الإسلامية
المجلد ١، العدد ١، ربيع و صيف ١٤٠٣هـ. ش/ ٢٠٢٤ م، ص ٢٩٠ - ٣٠٦

تصنيف الدخل المؤقت لرجال الدين في العهد القاجاري مدينة طهران أنموذجا

حامد قرائتی[١]
داود صدری[٢]

[تاريخ الوصول: ١٤٠٢/٠٨/٢٥هـ.ش؛ تاريخ القبول: ١٤٠٣/٠١/٢٥هـ.ش]

الملخص

لطالما كان رجال الدين من أهم الشرائح الاجتماعية والثقافية في المجتمع الإيراني، لما لهم من دور بارز ومهم في كثير من التطورات والتغيرات الاجتماعية. لقد خلّفت الدخول والموارد الاقتصادية لرجال الدين دورا مباشرا وغير مباشر على مستوى الفعاليات والنشاطات الاجتماعية لهذه الشريحة. كانت تتوزع هذه الموارد على قسمين: الموارد المالية الدائمة المتوقعة سنويا، والموارد المالية المؤقتة، التي رغم أنها كانت مستمرة في الأوقاف والنذورات، إلا أنها لم يكن من الممكن توقع قدرها وقيمتها الاقتصادية على طويل المدى. انطلاقا من ذلك، فتروم هذه الدراسة. من خلال المنهج الوصفي. التحليلي وبالاعتماد على المصادر والكتب التاريخية، إلى الإجابة عن سؤال محوري، هو: ما كانت أنواع الدخل المؤقت لرجال الدين في مدينة طهران في العهد القاجاري؟ لقد أظهرت النتائج أن هذه الموارد المالية المؤقتة، وإن كان تخلق صعوبات لرجال الدين في مسار معيشتهم وحياتهم، إلا أنها كانت لها فوائد عديدة، نحو عدم الاعتماد الاقتصادي على الدولة القاجارية، كما أنها كانت تؤدي إلى أن يقوموا بمهامهم الدينية والاجتماعية بقيود أقل ومزيد من الحرية.

الكلمات المفتاحية: رجال الدين، الحوزات العلمية في طهران، مصادر الدخل، العهد القاجاري، التصنيف

---

١. أستاذ مساعد في قسم التاريخ الإسلامي، جامعة باقر العلوم، قم، إيران. (الكاتب المسؤول) gharaati_1359@yahoo.com
٢. حاصل على الماجستير في قسم تاريخ الإسلام، جامعة باقر العلوم، قم، إيران. dawdsdry179@gmail.com

١. المقدمة

من قديم الزمن، كان ولا يزال رجال الدين من الشرائح الاجتماعية الفعالة في مسار تاريخ الإسلام والتشيع بشكل عام، وتاريخ إيران الحديث على وجه التحديد. بما أن رجال الدين كان لهم دور بارز ومهم على مختلف المستويات الاجتماعية، فمن الضروري تسليط الضوء على الفرص والتهديدات التي تعرضت لحياة رجال الدين، في التفاعل مع المجتمع الإيراني والوفاء بمهامهم الدينية والاجتماعية.

مما لا يخامرنا شك، أن الدراسات والأبحاث التاريخية في خصوص مصادر الدخل لرجال الدين في العهد القاجاري، كتجربة تاريخية فعالة، ستكون قادرة على مساعدة صانعي السياسات وصناع القرار بالحوزات العلمية في حل المشاكل والتحديات المقبلة؛ في حين أن دراسة مصادر الدخل لرجال الدين. رغم أهميتها البالغة. لم تحظ حتى الآن باهتمام كبير من قبل الدارسين والباحثين.

تأسيسا على ذلك، تسعى هذه الورقة البحثية أن تلقي الضوء على المصادر المالية المؤقتة وغير المستمرة لرجال الدين في مدينة طهران في العهد القاجاري؛ ومرجع ذلك، أن هذه المصادر المالية كانت ذات فاعلية كبيرة في توفير الحاجات الفردية والأسرية والاجتماعية، وكذلك في كيفية تأثير رجال الدين في المجتمع المحيط بهم، كما أن كيفية توفير مصادر الدخل لرجال الدين في تلك الفترة، جعلتهم يسهمون إسهاما معنيا في التغيرات والتطورات الاجتماعية، ويلعبون دورا بارزا في معمعة النزاعات المندلعة بين الجماعات والفرق السياسية والفكرية والثقافية المختلفة.

تسعى هذه الدراسة، من خلال المنهج الوصفي. التحليلي، إلى رصد أنواع مصادر الدخل المؤقتة لرجال الدين في مدينة طهران، نحو الأوقاف والنذورات والوجوهات الشرعية، والهدايات والتبرعات وما شاكل ذلك، في العصر القاجاري (١١٧٥-١٣٠٤هـ)، وذلك بالاعتماد

على الكتب والمصادر التاريخية، مثل الرحلات والمذكرات، والسير الذاتية، والتواريخ المحلية والثقافية والاجتماعية، حتى تتمكن أن ترسم صورة مختصرة من مصادر الدخل لرجال الدين في مدينة طهران في تلك الفترة التاريخية، وأن توفر أرضية خصبة للمقارنة بين تلك الفترة في طهران وبين الفترات الغابرة والقادمة في المناطق الأخرى، وأن تساهم في نجاح مدراء الحوزات العلمية في توفير مصادر الدخل المشروعة لرجال الدين، وفقا لشأنهم ومكانتهم واستقلالهم ومهامهم الدينية والدنيوية.

أما سبب اختيار تلك الفترة التاريخية، فيكمن في أنه قد وصلنا كم هائل من المصادر والكتب الموثوق بها من العصر القاجاري (١١٧٥-١٣٠٤هـ)، والتي ترسم لنا صورة بانورمائية من تلك الفترة، وكذلك أن حشدا وفيرا من الطقوس والعادات في عصرنا الراهن تتأصل في العصر القاجاري، بسبب التقارب بين العصرين، الأمر الذي يجعل هذا العصر يحظى بأهمية بالغة في هذا المضمار. لا يفوتنا أيضا أن رجال الدين والعلماء الساكنين في مدينة طهران في العهد القاجاري، كانوا يسهمون إسهاما فعالا على مختلف المستويات الاجتماعية، حيث عاشوا فترة ناجحة نسبيا على الأصعدة الاجتماعية والسياسية والثقافية.

لسوء الحظ، أن تصنيف مصادر الدخل لرجال الدين، وخاصة رجال الدين في مدينة طهران في العهد القاجاري، لم يحظ باهتمام الباحثين والدارسين المعاصرين؛ بذلك، يمكن الإشارة فقط إلى بعض الدراسات القريبة من موضوع المقالة الحاضرة، ومن أهمها ما يلي: مقالة حوزه علميه تهران در نهضت مشروطه (= حوزة طهران العلمية في حركة الدستور)، لسيد عباس صادقي فدكي؛ ورسالة انديشه‌هاى فرهنگى، اقتصادى و حقوقى سيد حسن مدرس (= الأفكار الثقافية والاقتصادية والقانونية للسيد حسن مدرس)، لمحمود صادقي؛ ورسالة مناسبات دربار قاجار با حوزه علميه نجف (= علاقات البلاط القاجاري مع حوزة النجف العلمية)، لفاطمة حسيني؛ ورسالة نهادهاى علمى آموزشى قم در دوره قاجار (=

المؤسسات العلمية والتعليمية لمدينة قم في العصر القاجاري)، لمحمد صابري روشن. يتضح من عناوين هذه الدراسات وموضوعاتها، أنها، رغم قيمتها العلمية والدراسية، تختلف عن هذه الدراسة الحالية، من حيث الموضوع والمتغيرات الزمكانية، حيث لم تتناول مصادر الرزق عند رجال الدين في مدينة طهران في العصر القاجاري.

٢. الأدب النظري للدراسة

- **التصنيف:** يطلق هذا المصطلح على توزيع وتنسيق البيانات في العلوم المختلفة، وخاصة العلوم الاجتماعية والبشرية. يقوم التصنيف إما على العناصر الموضوعية والبسيطة (الجنس، والعمر، والعرق وغيرها)، وإما على العناصر العقلية (الإيديولوجيا والرأي والمعتقد). من خلال التصنيف الذي يكون في حد ذاته نوعا من التفريد، يمكن الوصول إلى نوع من التعميم في العلوم الاجتماعية والإنسانية. في الحقيقة، أن التصنيف يؤدي إلى التعميم التقريبي أو النسبي، فبالتالي، يحول العلم الاجتماعي إلى العلم التعميمي التفريدي.

- **رجال دين طهران:** إن المراد بالعلماء ورجال الدين في هذه الدراسة، هو خريجو الحوزات العلمية، والذين كانوا يعيشون في مدينة طهران في العهد القاجاري؛ بذلك، أن الملالي المحليين، والذاكرين، والشعراء، وقُرّاء الأدعية، المادحين، وإن كانوا يتشاركون مع رجال الدين في بعض النشاطات الاجتماعية والدينية، إلا أنهم خارجون عن موضوع هذه الدراسة.

- **الدخل المؤقت:** إن المراد بالدخل المؤقت لرجال الدين في العهد القاجاري، هو ما لم يتوفر من قبل المؤسسات الحكومية أو الأهلية بشكل منتظم أو مستمر، بل هو ما كان يحصل عليه رجال الدين على أساس الطقوس والعادات الدينية أو مقابل تقديم الخدمات الروحية. مهما يكن من شيء، فيمكن تصنيف هذا النوع من مصادر الرزق لرجال دين طهران في العهد القاجاري على ما يلي:

٣. أنواع الدخل المؤقت لرجال الدين

٣-١. تنفيذ الشعائر والطقوس الدينية والمذهبية

كانت إقامة المجالس والأوساط الدينية و إرشاد الناس وهدايتهم ووعظهم من المهام الأساسية لرجال الدين، الذين كانوا يمارسونها في أغلب الأحيان بشكل تبرعي ودون أخذ أجرة. كانت هذه المجالس متنوعة، فكانت تتطلب معارف ومهارات مختلفة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، كانت تقام صلاة الجماعة في المساجد بانتظام من مرة إلى ثلاث مرات في اليوم والليلة. فكانت هذه المسؤولية بحاجة إلى المكانة الأخلاقية والعلمية والاجتماعية، وكذلك إلى مختلف المهارات التواصلية مع الجمهور، حتى يتمكن رجل الدين من توفير أرضية خصبة لحضور الشرائح المختلفة من المجتمع في هذه المجالس والأوساط الدينية. ولكن إمام الجماعة، رغم تحمل المشاق الكثيرة، كان يتمتع بأقل المصادر المالية. زد على ذلك، أن الوعظ، وتبيين الأحكام الدينية، وقراءة روضة الشهداء، كانت من جملة النشاطات والفعاليات التي كان يمارسها رجال الدين في المجالس الدينية أيضا. كانت تقام هذه المجالس عادة في أيام خاصة من السنة، وفي بعض الحالات، كانت تقام يوميا أو أسبوعيا أوشهريا. في هذا المضمار، كانت تعقد المجالس باسم أهل البيت (عليهم السلام)، وكان يدفع منظمّوها مبلغا من المال بشكل تطوعي إلى رجل الدين، وفقا للعرف وقدرتهم المالية.

٣-٢. الصلاة والصوم وتلاوة القرآن مقابل أخذ الأجرة

في بعض الأحيان، كان يقوم رجال الدين بقبول أداء الواجبات الدينية أو الأعمال المستحبة لبراءة ذمة الأموات أو الخيرات لهم. في هذا السياق، أن أقرباء الميت وورثته كانوا يدفعون مبلغا من المال إلى رجل الدين لأداء هذه الأعمال، وأن أجور هذه الأعمال كانت عرفية، وكانت تتوقف على المقدرة المالية لورثة الميت وأقربائه.

فإن أداء هذه الأعمال، وإن كان يقبل من جانب أفراد غير معممين أيضا، إلا أن غالبية ساحقة من الناس كانوا يرغبون في الرجوع إلى رجال الدين، بسبب معرفتهم بالأحكام والمسائل الدينية. زد على ذلك، فإن هذه الأعمال، على رغم من أنها ما كانت مخصصة ليوم أو مناسبة خاصة، فكان القيام بها جائزا في جميع أيام السنة، غير أن الحرص على أدائها صار شائعا جدا في بعض المناسبات الدينية، نحو شهر رمضان المبارك. بالطبع، فإلى جانب هذه الأعمال، كانت تظهر بعض الطقوس والعادات الأخرى؛ فمثلا «كانت قراءة القرآن الكريم شائعة في شهر رمضان. فبما أن شهر رمضان كان معروفا بربيع القرآن، فكان يحرص الناس على ختم القرآن مرة واحدة فيه، لدرجة أن بعضهم كانوا يختمون القرآن الكريم مرة في يوم واحد، وكانوا يعتقدون أن الشخص الذي يبدأ في ختم القرآن الكريم في شهر رمضان، يجب عليه إتمام ختمه، وإلا سيكون مدينا» (مستوفي، ١٣٨٤هـ.ش، ج ١، ص ٣٢٧).

في هذه الأثناء، أن الأشخاص غير المثقفين الذين كانوا محرومين من قراءة القرآن الكريم، كانوا يعمدون إلى شراء المصحف وتشجيع الناس على تلاوته أو كانوا يدفعون بعض المال إلى أشخاص ثقة لتلاوة القرآن الكريم. مضافا إلى ذلك، فإن إهداء ثواب قراءة القرآن إلى الأموات كان من الطقوس والعادات المرتبطة بقراءة القرآن الكريم؛ وفي الوقت نفسه، كان من جملة مصادر الرزق عند الرجال الدين والمعممين (المصدر نفسه).

علاوة على قراءة القرآن الكريم، كان الاستئجار جائزا للصلاة والصوم وسائر العبادات التي كانت قد فاتت من الأموات، حيث كان الورثة يقومون باستئجار الأجير على الأعمال العبادية، مما يصح فيه النيابة، لبراءة ذمة أمواتهم. بما أن أداء بعض العبادات نحو الصلاة والصيام، كان بحاجة إلى العلم بكيفية أداء الصلاة والتأكد من الأجير، فكان الناس في الأغلب يرغبون في اللجوء إلى رجال الدين والمعممين.

٣-٣. الديون المالية الشرعية

كانت النذورات والكفارات والخمس من جملة الأموال التي كان الناس يدفعونها إلى جماعات وشرائح خاصة في المجتمع. لا يفوتنا أن بعض الحقوق المالية نحو الخمس، كان تكليفا من قبل الشارع، وأن الكفارات والنذور وغيرهما صارت واجبة من قبل المكلفين أنفسهم. فإن هذه الأموال ما كانت تدفع على أساس التزام قانوني أو عرفي، بل كانت تدفع على أساس المعتقدات الباطنية للناس ودون وجود أدوات إلزامية تحدد قدرها وكيفية دفعها، إلا أنها كانت تقوم على بعض الأحكام والقواعد الفقهية. بالطبع، فإن هذه الأموال في الأحكام المذهبية، كانت تنفق في مصارفها الشرعية المحددة، وكان الفقهاء ومراجع التقليد ونوابهم كانوا يتولون تلقي هذه الأموال وصرفها. انطلاقا من قواعد التفقه في الدين، فإن قسما من مصارف هذه الأموال، وخاصة في موضوع الخمس، كانت متاحة لرجال الدين. فهم كانوا يصرفونها تحت إشراف مرجع التقليد آنذاك.

في هذه الأثناء، أن رجال الدين كانوا على قسمين: فبعضهم كانوا يتمتعون بهذه الأموال بشكل أقل، والبعض الآخر كانوا يستفيدون منها بشكل أكثر. «إن الطلبة والمعممين في إيران على قسمين: فبعضهم يحافظون على الشكل الظاهري لرجل الدين، ويتجنبون الترف والبذخ، ويعيشون عيشية بسيطة عادية، ولا يكونون على علاقة بأصحاب السلطة والقوة، بل يعتبرونهم ظالمين،...؛ فإن هؤلاء المعممين يكونون في الأغلب على علاقة بالعامة وأصحاب الدكاكين؛ بذلك يكتظ الناس في صلاة جماعتهم، ويقدسونهم ويبجلونهم. تكون نفقات معيشتهم على عاتق الجمهور، بحيث يأخذون الوجوهات الشرعية على أساس اجتهادهم، أو إجازة مرجع من مراجع التقليد» (دولت آبادي، ١٣٧١هـ.ش، ج١، ص٥٠).

إن هذه الأموال، وإن كانت كيفية تلقيها وصرفها محط اهتمام الناقدين للحوزات العلمية (طهراني، ١٣٨٥هـ.ش، ص ٢٥٤)، إلا أن حرص الجمهور على دفعها إلى رجال الدين

والمعممين، يدل كل دلالة على ثقة غالبية الناس بهذه الشريحة الدينية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أن آية الله الأصفهاني كان يعيش في عسرة وضيق شديدين، وحتى بعد أن نال مقام المرجعية الشامخ، فرغم أنه كان يتلقى الأموال الخيرية الكثيرة، نحو الخمس وغيره، إلا أنه كان يسلك مسلك الشخصيات الكبيرة في صدر الإسلام، وكان يعيش بالزهد والقناعة، وكان يحظى بمكانة مرموقة بين الشيعة والسنة (هدايت، ١٣٨٥هـ.ش، ص ٤٥٥).

من اللافت للذكر، أن الأموال والديون الشرعية، رغم أنها ما كانت تعتبر من الالتزامات الحكومية، وأن الجمهور كانوا يحظون بحرية كاملة في دفعها وعدم دفعها، غير أن حرص الشيعة على تنفيذ الأحكام الدينية، والتزام العلماء الدينيين بالزهد والورع، والتوقعات العرفية، كلها كانت قد أدت إلى أن هذه الأموال والديون الشرعية لها حضور بارز إلى حد ما في المجتمع الشيعي. فعلى سبيل المثال لا الحصر، «فكان يوجد هناك شخص تاجر، كان مدانا بدفع الضرائب والرسوم الحكومية من جهة، ومن جهة آخر، كان مضطرا إلى دفع حصة الإمام والخمس والزكاة من أمواله إلى الطبقة الدينية. فهو كان يدفع الضرائب والرسوم الحكومية بالإكراه والإجبار، إلا أنه كان يعتبر دفع حصة الإمام والزكاة والخمس تكليفا شرعيا وواجبا دينيا، وكان يعلم جيدا أنه يمكن أن يتهرب من تأدية الضرائب الحكومية، إلا أن امتناعه عن القيام بالتكليف الشرعي، يؤدي إلى سلب ثقة الناس وإخفاقه في التجارة» (شميم، ١٣٨٧هـ.ش، ص٣٥١).

إن الالتزام بدفع الأموال الشرعية كان قد أدى إلى أن بعض الناس يدفعون هذه الوجوه، رغم معتقداتهم الشخصية، ولمجرد تسهيل أمر التجارة مع التجار. فإن الرواية التالية، وإن وقعت في مدينة أصفهان، إلا أنها تعكس معتقدا شائعا في حشد وفير من المدن الإيرانية الكبيرة. «إن يوسف الكليمي، وسيط الصفقات لدى يهود أصفهان، تعهد اليوم لدولة أصفهان بأن يرجع إلى آقا الميرزا محمد صادق، إمام الجمعة، من أجل دفع خمس الصفقات» (فراهاني، ١٣٨٥هـ.ش، ج٤، ص ١٣٠).

جدير بالذكر أن الشارع الإيراني في تلك الفترة، علاوة على أنهم كانوا يقاطعون التعامل مع التاجر الذي كان قد تملص من دفع الأموال الشرعية، إلا أنهم أنفسهم كانوا يواظبون على دفع الأموال الشرعية، لدرجة أن شاعت بعض الطقوس والعادات بينهم؛ فمثلا «كان من المعتاد أن يضع القدماء بعض المال [الحاصل من بيع] الذهب المدفوع خمسه وزكاته، في طيات أكفانهم التي كانت في الأغلب ثياب الإحرام للحجاج، لكي لا يواجه الباقون بعد موتهم المشقةَ والحرج في نفقات الكفن والدفن» (مستوفي، ١٣٨٤هـ.ش، ج ٣، ص ١٦٩).

٣-٤. إدارة الأشغال العامة والموقوفات

من جملة الأشغال العامة المتداولة في تاريخ إيران الإسلامية، هو بناء الأماكن والمؤسسات العامة، نحو: المساجد، والمدارس، والخانات، ومخازن المياه، والسقاخانات، أو وقف الأموال والأملاك، لدعم أمور الخير والحماية منها. في هذه الحالات، أن المتبرعين والواقفين كانوا يديرون عادة هذه الأموال والأملاك، ماداموا كانوا على قيد الحياة، ثم يعينون شخصا باعتباره ناظرا لإدارتها. في كثير من الحالات، أنهم كانوا يعينون أبناءهم ناظرين لهذه الأموال والأملاك؛ ولكن في بعض الحالات، كان يتم تعيين العلماء أو الأشخاص الموثوق بهم ناظرين لها، حتى لا تواجه إدارة هذه المؤسسات والموقوفات مشكلة خاصة، وتستمر نشاطاتها وفعالياتها بشكل أحسن.

من العادات والطقوس الأخرى المرتبطة بهذه الشؤون، هو تحديد الأجور للناظر، أو تعيين راتب له. فهذه الأجور كانت تؤخذ من الرواتب الموقوفة؛ بذلك كانت تتأرجح هذه الأجور حسب مدى هذه الرواتب الحاصلة. يقول أحد المؤرخين في هذا المجال: «في كثير من الأحيان، أن آقا الشيخ علي، رغم حاجة إلى المال لقضاء حاجاته اليومية، إلا أنه ما كان يتطاول على أكياس المال للطلبة (الأكياس التي كانت موقوفة لطلبة المدرسة)». (إعظام قدسي، ١٣٧٩هـ.ش، ج ١، ص ١١٩).

لا يفوتنا أن هذا المنصب كان يحمل أحيانا أسماء أخرى، نحو "قاسم الصدقات" في عهد فتح علي شاه القاجاري، حيث كان قد سمّى السلطان القاجاري، الملا إسماعيل المازندراني بهذه التسمية، وجعله مسؤولا عن توزيع الصدقات بين الفقراء وذوي الحاجات (الگار، ١٣٥٩هـ.ش، ص ٦٨)، أو ألقى ناصر الدين الشاه، على عاتق الشيخ عبد الحسين المجتهد الطهراني، مسؤولية نقل وإنفاق الهدايا لترميم القبات الذهبية لمراقد الإمام الحسين والإمامين الكاظمين (عليهما السلام)، وكذلك رواق مرقد حضرة العباس (عليه السلام) (لسان الملك سپهر، ١٣٧٧هـ.ش، ج ٣، ١٥١٤).

من اللافت أنه في بعض الأحيان أن السلطان القاجاري، بصفته ناظرا لبعض الموقوفات، كان يستولي على جزء من دخل الموقوفات. بقول أحد كتّاب الرحلات في تلك الفترة: «في الأساس، أن الأملاك الموقوفة معفاة من دفع الضريبة؛ مع ذلك، أن الشاه يأخذ ١٠٠٠ تومان من مقبرة مشهد كحق التولية» (دالماني، ١٣٣٥هـ.ش، ص ٧٣).

٣-٥. إبرام العقود الشرعية

كان إبرام العقود الشرعية في الزواج أو الطلاق وغيرهما، من جملة المصادر الرزق غير المستمرة عند رجال الدين والمعممين (دولت آبادي، ١٣١٨هـ.ش، ج ١، ص ٥٠). إن الزوجين وباقي أسرتهما، وإن كانوا راغبين في أن رجال الدين والمعممين يقرأون عقد الزواج، بسبب مكانتهم الروحية، إلا أن تنفيذ عقد الزواج أو الطلاق ما كان بحاجة إلى الظروف المشددة، حيث كان طلبة الحوزات العلمية قادرين على ذلك. يقول الطهراني في هذا الصدد: «إن الطلبة الذين كانوا قد تعلموا بابا من الشرائع وكتابا من شرح اللمعة في الحوزات العلمية، كانوا يعتبرون من علماء الدين في هذه الولاية، وكانوا يصبون اهتمامهم على إجراء عقد الزواج أو صيغة الطلاق، لكي يحصلوا على قرانين» (١٣٨٥هـ.ش، ص ١٤٧).

في هذه الحالة، ومثل قراءة روضة الشهداء وسائر الفعاليات والنشاطات الدينية الأخرى، ما كان بعض رجال الدين ينظرون إلى هذه النشاطات نظرة مادية، وحتى كانوا يمتنعون عن أخذ الأجور. في الرواية التالية، علاوة على التصريح بهذه النظرة، فقد تمت الإشارة إلى عادة دفع بعض المال إلى من كان يجري عقد الزواج، وحتى في خارج الحدود الإيرانية: «قرأنا صيغة العقد، وأجريناها. منح الزوج ١٠٠٠ منات لزوجته صداقا، ثم ملأ الأماكن الفارغة في وثيقة الزواج في النسختين، ثم كتبتُ إجراء الصيغة في أعلى النسختين كليهما، ثم ختمت نسخة واحدة منهما، ورقّمتها، ثم قمت بإلصاق طابع البريد على الوثيقة، والذي تعادل قيمته ٢٥ قرانا، وأبطلته بختم السفارة، وسلّمتها إلى العروس. في هذا الحين، قام السادة، متوجهين إلى باب السفارة، لكي يرافقوا العروسين إلى المحطة. كان من المثير للاهتمام أن العريس وضع ورقة نقدية بقيمة ٥٠ مناتا، بالإضافة إلى ٥ مناتات لسعر طابع البريد، على الطاولة أمامي. قلت: ما هو سبب ذلك؟ فلم يكن سعر طابع البريد أكثر من ٥ مناتات، فتم دفعها أيضا. قال العريس: تكون هذه الأجور مقابل إجراء صيغة العقد. فلو ذهبت لإجراء عقد الزواج، عند شيخا مغوليا، فكان من الواجب دفع هذا المبلغ إليه. كان العريس جادا في كلامه، حيث ما كنت بقادر على عدم قبول المال و إعادته إليه. فرفعت الورقة النقدية، ومنحتها للعروس، قائلا: هذه هي هدية السفارة إلى العروس، بالرفاء والبنين. فلم تقبلها العروس، إلا بإيعاز أمها، فرفعها» (مستوفي، ١٣٨٤هـ.ش، ج ٢، ص ٢٥٧).

٣-٦. الهدايا والنذورات

كان تقديم الهدايا من سائر المصادر المالية الأخرى لدى رجال الدين والمعممين. كان يتم تقديم الهدايا كعيدية أو نذورات، ولم يكن يختص بالتجار وأصحاب القوة والسلطة، بل كان من المعتاد أن الجمهور الإيراني كانوا يقدمون الهدايا إلى السادات وطلبة الحوزات العلمية في مختلف المناسبات والأعياد.

كان يتم هذا التقليد في الأعياد شكرا على التهنئة بحلول العيد، وفي أيام العزاء والمصيبة على شكل الإطعام والنذورات. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن أتابك ميرزا الذي كان يتولى منصب الوزارة، كان يعقد مجالس العزاء وقراءة روضة الشهداء في العقد الأول لشهر المحرم، وكان يهدي مبلغا من المال إلى السادات وطلبة الحوزات العلمية، علاوة على إطعام العامة. من اللافت أن تقليده هذا لم يقتصر على أيام توليه الوزارة فحسب، وإنما كان يواظب على هذا التقليد لسنوات عديدة بعد عزله عن منصب الوزارة، لدرجة أنه كان قد وقف العديد من الدكاكين لاستمرار هذا التقليد (دولت آبادي، ١٣١٨هـ.ش، ج ٢، ص ٣٨). في بعض الحالات، أن الشاه القاجاري كان يخصص مبالغ كهدية أو عيدية لسد حاجات طلبة الحوزات العلمية والأيتام وتدارك نقائص الحوزات العلمية وثغراتها (سپهر، ١٣٨٦هـ.ش، ج١، ص ٢١٥)، وكان يعين بعض العلماء ورجال الدين مسؤولين عن رصد هذه الهدايا، بغية الحيلولة دون الاستغلال؛ فمثلا، عين محمد شاه القاجاري، في بداية حكمه، الميرزا نصر الله الأردبيلي، مسؤولا عن توزيع هدايا الحكومة على العلماء أو المعممين والسادات (الگار، ١٣٥٩هـ.ش، ص ١٥٠).

في مختلف الأعياد، وخاصة في عيد النوروز، كان يتمتع طلبة الحوزات العلمية، إلى جانب السادات والمداحين وأصحاب المناصب العليا، بهدايا رجال الدولة أيضا (سپهر، ١٣٨٦هـ.ش، ج ١، ص ٥٧ وج ٢، ص ٦٥٦). ولكن في بعض الحالات، كان يتجنب علماء الدين قبول الهدايا والعطايا؛ فمثلا أن عين الدولة (م ١٣٠٦هـ.ش)، بعد عزله عن منصبه، أقبل على إقامة مجالس العزاء وإرسال الهدايا والهبات إلى الوعاظ، والمداحين، والعلماء، ورجال الدين، بغية نيل الدعم والقبول العام واستمالة قلوبهم إليه، إلا أن بعضهم مثل شرف الواعظين، ونجم الذاكرين، والميرزا أبي القاسم الطباطبائي امتنعوا عن قبول هداياه وعطاياه، فأخفق في مسعاه إخفاقا كاملا (ناظم الإسلام كرماني، ١٣٨٤هـ.ش، ج ٢، ص ٣١٧)، أو مثلا أن رجال الدين والمعممين اعتبروا راتبا كان قد وضعه فتح علي شاه القاجاري (١٢١٢-١٢٥٠هـ)، لبعض العلماء ورجال الدين، نوعا من حق الصمت، فامتنعوا عن قبوله (الگار، ١٣٥٩هـ.ش، ص ٢٤).

جدير بالذكر، أنه في بعض الحالات، كانت الهدايا الحكومية على شكل من أشكال التعويض عن الأضرار التي كانت قد لحقت بالعلماء ورجال الدين آنذاك. فمثلا تم إهداء بيتٍ ما إلى الميرزا أحمد المجتهد (م ١٢٦٥هـ)، بعد أن هجمت القوات الروسية على مدينة تبريز، وتشرد الميرزا من مسقط رأسه وتعرض لأذى الأكراد في منتصف الطريق (المصدر نفسه، ص ٦٨). من الطريف أن العلماء ورجال الدين ذوي المناصب العليا، كانوا يأخذون الهدايا الفاخرة والعطايا الأنيقة؛ فمثلا تم إهداء العديد من القرى التابعة لمدينة قزوين كإقطاعة إلى الحاج الملا محمد البرغاني (م ١٢٦٣هـ) (المصدر نفسه، ص ٦٩).

في بعض الحالات، كان يأخذ إعطاء الهدية طابعا عاما؛ فمثلا في بعض المجالس الدينية والمذهبية، كان يتم إعطاء الهدايا إلى كافة الطلبة والسادات المتواجدين فيها. وفي بعض الأحيان، كان تؤخذ موقوفةٌ في الاعتبار لهذه الهدايا. يشير عبد الله المستوفي (م ١٣٢٩هـ.ش)، إلى مراسم قراء روضة الشهداء وكيفية أخذ الأجور في هذه المجالس، يقول: «كانت تقام مجالس قراءة روضة الشهداء ليلا ونهارا في شهري المحرم وصفر، وعلى وجه التحديد في العقد الأول من شهر المحرم، والعقد الأخير من شهر صفر، وما كانت تتباين هذه المجالس إلا من حيث المظهر أو الذوق الذي كان يستخدمه أصحاب البيوت، وفقا لوضعهم المالي ومكانتهم الاجتماعية ومدى حبهم لأهل البيت. كان هناك أيضا أشخاص كانت مجالسهم اليومية أو الليلية موقوفة أجدادهم وأسلافهم، فكانوا يعملون وفقا لوصية الواقف الفقيد، وحتى كان هناك أشخاص يمنحون قِرانين لكل من الطلبة المدعوين» (مستوفي، ١٣٨٤هـ.ش، ج١، ص ٢٨٢).

جدير بالذكر أن هذه الهدايا ما كانت تختص بالعلماء ورجال الدين فحسب، وإنما كانت تشمل النساء أو سائر الشرائح والطبقات في المجتمع. لقد قيل: في بيت صنيع الدولة (محمد حسن الخان اعتماد السلطنة)، وفي مجلسه، في الأيام الأولى لشهر المحرم، بعد نهاية الروضة، كان يُمنح شاهيُ أبيضُ واحد لكل من النساء، وفي اليوم الثامن من شهر المحرم، كان من المعتاد أن تمنح خمسة شاهيات لكل منهن» (منظور الأجداد، ١٣٨٠هـ.ش، ص ١٧١-١٧٢).

وأما في بعض الحالات، فكان العلماء ورجال الدين يعمدون إلى إعانة الشرائح الضعيفة والفقيرة، اعتمادا على المصادر المالية المتاحة لهم. يقول التنكابني في خصوص إحدى مساعدات السيد محمد باقر الشفتي (م ١٢٦٠هـ): «في عيد الغدير، توجه إلى المسجد، وصعد المنبر، وتم وضع أكياس مملوءة بالذهب والفضة والفلوس، والعملات المعدنية بقيمة عشرة شاهيات وألف دينار إلى جانبه، ثم أمر بأن يجتمع الفقراء والمساكين في أحد أبواب [المسجد]، وأن يأتوا واحدا تلو آخر، وأن يخرجوا من باب آخر ...، [أخيرا]، حسبوا أن [هذه الأموال] كانت ١٨٠٠٠ تومان» (١٣٨٣هـ.ش، ص ١٨٩).

جدير بالذكر أن النساء أسهمن إسهاما بارزا في التوفير المالي لهذه المجالس، لدرجة أن «النساء الإيرانيات مثل سائر نساء العالم، يعلين من شأن الوعاظ، ويهدين إليهم الفضة والحلويات وشراب الورد لنيل رضاهم» (جملي كاررري، ١٣٨٣هـ.ش، ص ١٥٠).

٣-٧. الموقوفات

إن الاستفادة من الموقوفات المخصصة لطلبة الحوزات العلمية ورجال الدين، رغم أنها كان من الممكن أن تظن من مصادر الدخل المستدامة، إلا أنها ما كانت تحمل قيمة ثابتة قابلة للتنبؤ؛ وذلك بسبب عدم استفادة كافة الطلبة من الموقوفات، وسيادة نظام الحصة في توزيع عوائد الموقوفات. هنا، يجب أن نستثني الموقوفات المخصصة للإسكان؛ والتي كانت لها عائدة مستمرة وقابلة للثقة، وما كان تختص بالطلبة الشباب؛ فعلى سبيل المثال، أن السيد أشرف الدين حسيني (م ١٣٥٢هـ)، أو الميرزا جلوة (م ١٣١٤هـ)، العالم والشاعر في العهد الناصري، أقاما في مدرسة صدر (شهري، ١٣٦٩هـ.ش، ج ٥، ص ٧٠٠)، ومدرسة دار الشفاء في طهران على الترتيب.

كانت تنفق عوائد الوقف على النحو المشار إليه في الوثيقة الوقفية. «في حالة الضرورة،، فكانت تصرف موقوفات المدرسة والمسجد في التصليح، ثم في إضاءة المسجد، ثم في دفع الراتب الشهري لإمام الجماعة وخادم المدرسة والمسجد. فلو كان يبقى شيء، لكان يتوزع بين الطلبة على حد سواء، حيث ما لم تكن حصة كل طالب دين أكثر من ثلاثة تومانات شهريا، وكان يمنحها إمام الجماعة لهم» (إعظام قدسي، ١٣٧٩هـ.ش، ج ١، ص ١١٩).

الخاتمة

إن دراسة رواتب الشرائح والفئات الاجتماعية ومصادر رزقهم، تميط اللثام عن العلاقات من جانب، والتبعيات والأنشطة من جانب آخر. لطالما كان رجال الدين معتمدين على الدعم الشعبي، حيث كانوا محرومين في الأغلب من الرواتب الحكومية المستمرة في كثير من الأحيان. زد على ذلك، أن معظم رواتبهم كانت تفتقر إلى الأسعار المحددة، حيث كانت تدفع بشكل عرفي ومقابل إسداء الخدمات الدينية والمذهبية. فكان رجال الدين يكسبون المال بطرق مختلفة، نحو إقامة المراسم والطقوس الدينية، وأداء تكاليف الأموات وواجباتهم، وتولي الأشغال العامة والموقوفات، وتنفيذ عقد الزواج والطلاق، وغيرها. مضافا إلى ذلك، فكانت الهدايا، والنذورات، والتبرعات، والخمس من سائر مصادر الرزق لرجال الدين والمعممين. من اللافت أن رجال الدولة وأصحاب السلطة كانوا يخصصون الهدايا والعطايا لطلبة الحوزات العلمية ورجال الدين، إلا أنهم كانوا يرفضونها في كثير من الأحيان.

المصادر والمراجع

اعظام قدسی، حسن. (۱۳۷۹هـ.ش). خاطرات من یا تاریخ صد ساله ایران. تهران: کارنگ.

الگار، حامد. (۱۳۵۹هـ.ش). نقش روحانیت پیشرو در جنبش مشروطیت. ترجمه ابوالقاسم سری. چ ۲. تهران: توس.

تنکابنی، محمد بن سلیمان. (۱۳۸۳هـ.ش). قصص العلماء. تهران: علمی و فرهنگی.

جملی کارری، جووانی فرانچسکو. (۱۳۸۳هـ.ش). سفرنامه. ترجمه عباس نخجوانی و عبدالعلی کارنگ. تهران: علمی و فرهنگی.

دالمانی، هانری رونه. (۱۳۳۵هـ.ش). سفرنامه از خراسان تا بختیاری. ترجمه محمدعلی فره‌وشی. تهران: امیر کبیر.

دولت آبادی، یحیی. (۱۳۷۱هـ.ش). حیات یحیی. چ ۵. تهران: عطار.

سپهر، عبد الحسین. (۱۳۸٦هـ.ش). مرآت الوقایع مظفری. تهران: مرکز پژوهشی میراث مکتوب.

شمیم، علی‌اصغر. (۱۳۸۷هـ.ش). ایران در دوره سلطنت قاجار. تهران: بهزاد.

شهری، جعفر. (۱۳٦۹هـ.ش). تاریخ اجتماعی تهران در قرن سیزدهم. تهران: رسا.

طهرانی، مصطفی. (۱۳۸۵هـ.ش). سفرنامه گوهر مقصود. تهران: مرکز پژوهشی میراث مکتوب.

فراهانی، حسن. (۱۳۸۵هـ.ش). روزشمار تاریخ معاصر ایران. تهران: مؤسسه مطالعات و پژوهش‌های سیاسی.

لسان الملك سپهر، محمد تقی. (۱۳۷۷هـ.ش). ناسخ التواریخ. به اهتمام جمشید کیانفر. تهران: اساطیر.

مستوفی، عبدالله. (۱۳۸٤هـ.ش). شرح زندگانی من. تهران: زوار.

منظورالاجداد، سید محمد حسین. (۱۳۸۰هـ.ش). «بزرگداشت حماسه حسینی در تهران عصر ناصری». مجله تاریخ اسلام. ش ۵. ص ۱٦۷ـ۱۸۲.

ناظم الاسلام کرمانی، محمد بن علی. (۱۳۸٤هـ.ش). تاریخ بیداری ایرانیان. تهران: امیر کبیر.

هدایت، مهدی‌قلی. (۱۳۸۵هـ.ش). خاطرات و خطرات. تهران: زوار.

References

Algar, Hamid. 1359 Sh. *Naqsh-i rūḥāniyat-i pīshraw dar junbish-i mashrūṭiyat*. Translated by Abolghasem Serri. Tehran: Toos.

Azam Ghodsi, Hasan. 1379 Sh. *Khāṭirāt-i man yā tārīkh-i ṣad-sālih-yi Iran*. Tehran: Karang.

d'Allemagne, Henry-René. 1335 Sh. *Safarnāmih az Khorasan tā Bakhtiyārī*. Translated by Mohammad Ali Farahvashi. Tehran: Amir Kabir.

Dolatabadi, Yahya. 1371 Sh. *Ḥayāt-i yaḥyā*. Tehran: Attar.

Farahani, Hasan. 1385 Sh. *Rūzshumār-i tārīkh-i muʿāṣir-i Iran*. Tehran: Institute for Political Studies and Research.

Gemelli Careri, Giovanni Francesco. 1383 Sh. *Safarnāmih*. Translated by Abbas Nakhjavani and Abdolali Karang. Tehran: Elmi va Farhangi.

Hedayat, Mahdi Gholi. 1385 Sh. *Khāṭirāt va khaṭarāt*. Tehran: Zovvar.

Lisān al-Mulk Sipihr, Muḥammad Taqī. 1377 Sh. *Nasikh al-tawārīkh*. Edited by Jamshid Kianfar. Tehran: Asatir.

Manẓūr al-Ajdād, Sayyid Muḥammad Ḥusayn. 1380 Sh. "Buzurgdāsht-i ḥamāsih-yi Ḥusaynī dar Tehran-i ʿaṣr-i Nāṣirī." *Tārīkh-i Islām*, no. 5: 167-82.

Mostofi, Abdollah . 1384 Sh. *Sharḥ-i zindigānī-yi man*. Tehran: Zovvar.

Nāẓim al-Islām Kirmānī, Muḥammad b. ʿAlī. 1384 Sh. *Tārīkh-i bīdārī-yi Irāniyān*. Tehran: Amir Kabir.

Sepehr, Abdolhossein. 1386 Sh. *Mirʾāt al-waqāyiʿ Muẓaffarī*. Tehran: Mīrāth-i Maktūb Research Center.

Shahri, Jafar. 1369 Sh. *Tārīkh-i ijtimāʿī-yi Tehran dar qarn-i sīzdahum*. Tehran: Rasa.

Shamim, Ali Asghar. 1387 Sh. *Iran dar dawrih-yi salṭanat-i Qajar*. Tehran: Behzad.

Tehrani, Mostafa. 1385 Sh. *Safarnāmih-yi gawhar-i maqṣūd*. Tehran: Mīrāth-i Maktūb Research Center.

Tunikābunī, Muḥammad b. Sulaymān. 1383 Sh. *Qiṣaṣ al-ʿulamāʾ*. Tehran: Elmi va Farhangi.